مكانة العلم والعلماء في الإسلام

بقلم:
د. نظمي خليل أبوالعطا

يدعي العَلمانيون أن الدين هو السبب الرئيس في تخلف المسلمين وأن الغرب تقدم علميا وتقنيا عندما عزلوا الدين عن الحياة هذه عقول لم تفرق بين دين البشر ودين الله.

الغرب تقدم عندما عزل الدين الذي يحقر من شأن العلم الكوني ويحارب العلماء ويحكم عليهم بالإعدام ويجبرهم على الرجوع عن النتائج العلمية التي توصلوا إليها، لقد اعتبرت الكنيسة الغربية التفكير جريمة وأن الخروج عن المفاهيم الخاطئة في الكتب المقدسة عندهم خروج على سلطان الكنيسة والكهان، فلم يجد الغرب بدا من عزل هؤلاء عن معترك الحياة، وعندما تربت بعض العقول العربية والإسلامية في ديار الغرب المتقدمة وما فعلوه في الدين لم يفرق هؤلاء بين الدين الذي يحارب العلم والعلماء، ودين الإسلام الذي رفع من شأن العلم والعلماء وخص علماء العلوم الكونية بمكانة عالية في القرآن الكريم، قال تعالى (ألم تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السماء ماء فَأخرجنا به ثَمَرَات مُخْتلفا أَلوانها وَمِنَ الجبال جدد بيض وَحمر مختلف أَلوانها وَغَرَابِيبُ سُود وَمِنَ الناس والدواب والأَنعَام مختلف أَلوانه كذلك إِنَّمَا يخشى الله من عِبَاده العلماء إِنَّ الله عَزِيزٌ غَفُورٌ) فاطر (٢٧ - ٢٨).

الآيتان السابقتان توضحان أن العلم الكوني النافع يورث العلماء مكانة عالية، حيث يعلمون عظمة الله تعالى في خلقه فترق قلوبهم ويصبحون أشد خشية لله فضلا إنها خشية مبنية على البراهين والحقائق الكونية العلمية، ودرجة عالم لا ينالها في الإسلام إلا الباحثون في خلق الله في الأرض ويدرسون إنزال الله تعالى للماء من السماء فينبت به النبات وينمو وينتج الثمرات مختلفة الألوان من حيث الشكل الخارجي والتركيب الداخلي والفوائد التي يجنيها الإنسان من هذه الثمار، وإنتاج الغذاء والدواء، والكساء والمنتجات النافعة من الصموغ والأصباغ والراتنجات والكربوهيدرات ودهون والبروتين والرحيق الذي يحوله النحل إلى العسل والروائح الطيبة المستخرجة من الأزهار والثمار والجذوع وغير ذلك من المنتجات النباتية، لذلك نال علماء النبات المكانة العالية عند رب العالمين بعلمهم وبحثهم ونتائجهم العلمية.

كذلك نال علماء الأرض (الجيولوجيا) الباحثين في تركيب الجبال مختلفة التركيب وما تحتويه من معادن مفيدة ومن فوائد تختلف باختلاف لون الجبال المتوقف على التركيب الكيماوي والفيزيائي للجزيئات والذرات.

كيف يستخرجون المعادن المفيدة والعناصر المهمة في الصناعة والزراعة والتعمير.

ونفس المكانة العالية ينالها الباحثون في علوم الإنسان والحيوان مختلفة الفوائد والخصائص، وعندما يصل هؤلاء إلى هذه المكانة العالية فإنهم ينالون درجة العلماء.

ورفعت السنة النبوية من مكانة العلماء وأهميتهم لحياة الناس بما يحملون من علم نافع وجعلتهم صمام الأمان للعصمة من الضلال فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناسُ رؤوسا جهالا فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له.

فالله تعالى يعاقب العصاة بقبض العلماء من بينهم، فيلجأ الناس إلى أصحاب الجهل المركب ليسألوهم فتكون النتيجة الحتمية الضلال للسائل والمسؤول.

والعلماء هم صمام الأمان في الأرض.

وقد حث المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين على الاجتهاد في طلب العلم النافع فقال صلى الله عليه وسلم «من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها إرضاءً لطالب العلم، وأن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي وابن ماجة وابن حيان.

إنها مكانة عالية لطالب العلم وبيان لفضل العلماء وأهمية ما يحملونه من علم نافع، وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهمية الأخذ بالعلم النافع وفي الحديث تفضيل لتحصيل العلم على الانقطاع للعبادة.

وقد فهم عبد الله بن المبارك هذا فقال (كن عالما أو متعلما أو محبا (للعلم) أو مستمعا (للعلم) ولا تكن الخامس فتهلك)، فالعلم هو طريق النجاة، والجهل هو طريق الهلاك.

وقال الشافعي رحمه الله: (طلب العلم أفضل من طلب النافلة، وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم).

وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوم إلى علوم نافعة وعلوم غير نافعة، فقال صلى الله عليه وسلم: «سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع» رواه ابن ماجة، وحسنه الألباني.

ومن المصائب التي زرعت في عقول البعض منا أن العلم هو العلم الشرعي فقط وهو المطلوب، أما العلوم الكونية فغير مفيدة وقالوا:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا
وما سوى ذلك وسواس الشياطين

إنها المأساة المتنافية مع الآيتين (٢٧-٢٨) من سورة فاطر المادحتين لعلوم الماء وعلوم النبات وعلوم الأرض والناس والدواب والأنعام ومدح الله تعالى للباحثين فيها والمشتغلين بدراستها، وغير ذلك فكرة خاطئة مئة في المئة وتتنافى مع طلب العلم النافع، وقد مزج القرآن الكريم بين آيات العقيدة والآيات الكونية مزجا معجزا وعجيبا ، قال الله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) الكهف (٧) وقال تعالى (هُوَ الذي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأرض جميعا) البقرة (٢٩).

فالله تعالى من علينا بالمخلوقات الأرضية ومن شُكرها تعمير الكون بهذه النعم.

والحمد لله رب العالمين.

خاطرة

المعالم.. والوفاء!

عبدالرحمن علي البنفلاح
aalbinfalah@gmail.com

الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم المبادئ التي نادى بها الإسلام، وطبقها في المجتمع الإسلامي، ولقد اشتهر الإسلام بهذا الخلق العظيم لما له من أثر عظيم، وعطاء عميم نادى به الإسلام، وحرص على التخلق به المسلمون، قال تعالى في الآية (١٥٢) من سورة الأنعام، وهو يعدد الوصايا التي يجب على المسلمين العمل بها، قال سبحانه وتعالى: (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسًا إلا وسعها..).

هذا الالتزام العظيم، والوفاء الكريم يحمي الأمة من التردي في مهاوي الرذيلة، ويحصن المجتمع المسلم من أن تتداعى أركانه، وتتهاوى جدرانه، ويتولى أمره من لا يقيمون وزنًا لقيمه ومكارم أخلاقه.

والوفاء في المكاييل والموازين من أعظم الأمور في الأمة إذ يحفظ لها قيمها ويُعلي من شأنها لأنه حين تفسد العلاقات المالية في البيع والشراء يصاب المجتمع المسلم بالهزال ونقص المناعة الأخلاقية والقيمية، ويتهاوى المجتمع وتندك حصونه وتنتشر بين أهله القيم الفاسدة، والصفات الذميمة، ولقد شدد القرآن العظيم النكير على المطففين الذين يعبثون بالأوزان والمكاييل، قال تعالى: (ويل للمطففين(١) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون(٢) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون(٣) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم(٥) يوم يقوم الناس لرب العالمين(٦) سورة المطففين.

إنه يوم عظيم في هيبته.. يوم عظيم في جلاله.. يوم عظيم في حسابه وعذابه! إن الوفاء في المكاييل والموازين مصل وقاية للمجتمع المسلم من أن يتردى في هاوية المعاصي والآثام، وهو شامة في جبين الأمة يحفظ لها كرامتها، ويوطد لها عزتها، ويجعلها بين الأمم الحريصة على القيم، المدافعة عنها، الداعية إليها، وإذا حل الوفاء بأرض قوم حل معه الموازين القسط، وأمن الناس فيه على حقوقهم وأرزاقهم، وضمنوا ألا يعتدي عليها معتد، ولا تمتد إليها يد بالنهب والسلب، والميزان لا يعتَدل إلا في أرض كان الوفاء فيها سيدًا مطاعًا، ومبدأ متبعًا، وشريعة سائدة.

ومعلوم أن الإسلام لا يكلف النفس ما لا تستطيع، بل إن دليل قدرتها على أداء التكاليف من أمر أو نهي أنها تؤمر به، أو تنهى عنه، ولو كانت غير قادرة عليهما، أو غير مؤهلة لهما لسقط عنها التكليف لذلك قال الله تعالى: (..لا نكلفُ نفسًا إلا وسعها..) الأنعام / ١٥٢. صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الأمين، ونحن على ذلك من الشاهدين.

الغزالي.. أديب الدعوة

بقلم: عاطف الصبيحي

الذين يتصدون للشأن الديني ويكتبون في الفكر الديني كثر، وهم إما حافظ جامع لما قيل سابقا في التراث الفكري الإسلامي، ناء بنفسه عن التدخل في نصوص التراث التي وعاها في الذاكرة، فينقلها كما هي دون أدنى تدخل أو محاكمة أو إثارة تساؤل حول بعض ما كُتب، وإما حافظ مثل الطائفة الأولى، لكن لذاته بصمة، بصمة خاصة، أودعها في نصه المكتوب، موافقة أو معارضة أو تساؤل غير مطمئن لما ذُكر وكُتب، وهو بذلك يكون قد استعمل البصر والسمع والفؤاد الذي أودعه الله فيه كأول وأهم نعمة أولاها الله للناس.

الشيخ الغزالي نشأ في زمن العمالقة خاصة إذا ما تمت المقارنة مع مثقفي اليوم، زمن الكتاب الذي لا يفارق جيله ومعاصريه، زمن الصالونات الأدبية والثقافية عموماً، زمن الجلد والتجلد على القراءة وتحصيل العلم، بالرغم أن الظروف التي عاشوها أو جُلها لم تسعفهم فيها التكنولوجيا في الاستزادة من العلم كما هو حاصل في أيامنا هذه ولكن بالرغم من هذا كان أحدهم واسع الاطلاع غزير المعرفة، والغزالي أحد هؤلاء الرواد، فليس عبثاً ولا تكرماً لُقب بأديب الدعوة، فالملكة الأدبية إن وُهبت لأحد إنما تتغذى على سعة الاطلاع، وتفصح عن نفسها في المنتج الثقافي الذي تخطه اليد، يد الغزالي رحمه الله مثالا ونموذجاً.

أهم ما تميز به الشيخ الجليل أنه أبحر في التراث، واستعصم بالثوابت، وكان قوله مطابقاً لفعله، والأهم من ذلك كله أنه كان عاملاً معملاً لعقله فيما يقرأ، فحين تسكن نفسه بعد تدقيق لفكرة فلا يتردد في تدوينها والبوح بها، والعكس صحيح تماماً فلا تهدأ له نفس ولا يقر له قرار إن طافت به فكرة أو حتى حديث نبوي ولم تطمئن له نفسه، ويسكن له عقله، بسبب معارضته للثابت الأول في الإسلام القرآن- فيقلب فيه الوجوه، ويمحصه من كل جانب، ولا يخشى في رفضه الحديث، أو دحض الفكرة، لومة لائم، ما كان ذلك ليكون لولا احترامه لعقله.

وثاني النعوت التي أُطلقت عليه هو أنه مجدد الفكر الإسلامي، وما أحوج هذه الأجيال للمجددين، وما أحوجنا لمفكرين مخلصين للحقيقة قبل أي شيء آخر، ليميزوا الغث من السمين لهذه الأجيال التي تكالبت عليها الأفكار والفتاوى من كل حدب وصوب، فأصبحوا في تيه لا يحسدون عليه.

أقصى غاية منشودة من هذا المقال أو هذه الكلمات هي إبراز الصفة الأبرز فيما يبدو لي- والتي تهمني- وهي عدم التسليم بكل ما يطوف به من معارف أو أقوال تكلم بها السابقون، ويقيناً إن هذا لأمر لا يتأتى إلا لمن ساح سياحة طويلة في بطون الكتب، ليس حفظاً وسرداً ومن ثم تلقيناً وحشواً في أدمغة القراء أو المستمعين له أو ممن تلقوا العلم على يده في الجامعات، سياحته في الأسفار كانت مضنية لأنها سياحة بحث ومقارنة وتفكر، سياحة مكنت صاحبها من محاكمة كل جهد بشري قديم أو ما يسمى بالتراث الذي اكتسب عند الكثيرين صفة القداسة، وبالتالي لا يجوز لنا إنشاء قول على قولهم، ولا حتى مناقشة أقوالهم، لعمري كيف يمكن لنا تصور ازدهار الثقافة والفكر الديني في ظل التسليم المُطلق بكل ما ورد بالتراث؟، ولعمري هل المنتج الفكري التراثي إلا منتج بشري عرضة للخطأ والسهو؟

إن أمة مؤمنة بالقرآن إيماناً مطلقاً كيف لها أن تتجاوز قول الله تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) الإسراء ٣٦ وقوله تعالى سبحانه: (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والبصر والفؤاد لعلكم تشكرون) الملك ٢٣، أحسب الشيخ الغزالي كان ممن شكر النعمة الجزيلة التي وُهبت له، فعمل بها شكراً لخالقها وواهبها، مستحضراً قوله تعالى: (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) سبأ ١٣، والشكر على ما يقول ابن كثير يكون بالفعل والقول والنية، رحم الله الشيخ الغزالي.

الدين الإسلامي لا يتعارض مع التقدم العلمي

إن رسالة هذا الدين الخاتم دين الإسلام قامت على الاحتكام إلى البرهان والحجة واحترام العقل والفكر والإشادة بفضل العلم وأهله والإنكار على التقليد والجمود والخرافات.

والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى:

فها هو ذا القرآن الكريم وهو دستور الإسلام يحدثنا في قصة نوح (عليه السلام) عن صناعة السفن وفى قصة داود (عليه السلام) يخبرنا عن صناعة الدروع من الحديد وفى قصة سليمان (عليه السلام) يخبرنا عن صناعة الجن له ما يشاء من مَحاريب وتَماثيل وجِفان كالجواب وقدور راسيات، كما يحدثنا القرآن الكريم عن التخطيط الاقتصادي مدة أربع عشرة سنة في قصة يوسف (عليه السلام) ويحدثنا في قصة ذي القرنين عن صناعة السدود الضخمة، وتحدثنا سورة الحديد عن منافع الحديد العسكرية والمدنية.

وأول آيات نزلت من القرآن كانت تحث على القراءة والعلم والتعلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق.

وها هو ذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستخدم الإحصاء لمعرفة القوة البشرية للمسلمين معه معرفة دقيقة فعن حذيفة (رضى الله عنه) قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام فقلنا له: يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟» رواه مسلم - ومعنى يلفظ الإسلام- أي يتلفظ بكلمة الإسلام.

بل ويحارب الأمية فيحث على العلم والتعلم ويقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» رواه ابن ماجة.

وفى أعقاب غزوة بدر ينتهز النبي (صلى الله عليه وسلم) وقوع كثير من متعلمي المشركين في الأسر فيفرض على الأسير المشرك أن يقوم بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة حتى يُفك أسره ويحارب الخرافات والكهانة ويأمر بالتداوي والأخذ بالأسباب فيقول: «تداووا يا عباد الله فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم» رواه ابن ماجة وأحمد

كما نبه على الأخذ بالحذر ونبذ السلبية - فقد سأله الرجل هل يترك ناقته في الصحراء دون أن يربطها ويتوكل أو يعقلها ويتوكل؟ فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): «اعقلها وتوكل» رواه الترمذي وابن حبان.

وليس صحيحا ما يقوله أعداء الإسلام من أن الدين الإسلامي يدعو إلى التخلف والرجعية ويقوم على الجمود والخرافات.

الشيخ / عثمان إبراهيم عامر

من ثمرات الحج (١)

عبدالسلام عمري

إن من ثمرات الحج الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى؛ لأن الحج فرض وركن من أركان الإسلام، قال الله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) -آل عمران:٩٧-، هَذِهِ آيَةُ وُجُوبِ الْحَجِّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ.

وقال تعالى (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) -البقرة:١٩٦-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» رواه البخاري ومسلم وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ومن ثمرات الحج، غفران الذنوب وكسب الحسنات ورفع الدرجات حيث يجتمع الحجاج في هذه الأيام المباركة من كل عام، من أرجاء المعمورة، في بيت الله الحرام بمكة المكرمة، لتأدية مناسك الحج يحدوهم الشوق إلى تلك البقاع الطاهرة وكلهم رغبة وأمل في أن يعودوا ويرجعوا من ذنوبهم كاليوم الذي نزلوا فيه من بطون أمهاتهم؛ لأن الحج يمحو الذنوب ويكفر الخطايا، ويطهر الأنفس من دنس الذنوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» متفق عليه. «معناه أن الإنسان إذا حج واجتنب ما حرم الله عليه من الرفث وهو إتيان النساء، والفسوق وهو مخالفته الطاعة، فلا يترك ما أوجب الله عليه ولا يفعل أيضا ما حرم الله عليه، فإن خالف فهذا هو الفسوق».

قال ابن عثيمين «ظاهر الحديث أن الحج يكفر الكبائر، وليس لنا أن نعدو الظاهر إلا بدليل، وقال بعض العلماء: إذا كانت الصلوات الخمس لا تكفر إلا إذا اجتنبت الكبائر وهي أعظم من الحج وأحب إلى الله ، فالحج من باب أولى، لكن نقول: هذا ظاهر الحديث، ولله تعالى في حكمه شؤون ، والثواب ليس فيه قياس» وجاء في الدرر السنية «بيان فضل الحج، وأن الحجَّ المُستوفيَ لشروطه مُكفِّرٌ للذنوب جميعها صغائرَ وكبائرَ، إلا ما وَرَدَ في حُقوق العباد».

تعجيل التوبة ومراعاة الإخلاص لله رب العالمين قال الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) -البينة: ٥-. وروى أبو داود والنسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه). إحياء السنن المهجورة ومنها الوصية فيستحب للحاج إذا قصد السفر إلى الحج أو العمرة أن يوصي أهله وأصحابه بتقوى الله عز وجل، وأن يكتب ما له وما عليه من الدين، ويشهد على ذلك، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده». رواه البخاري، العود على الكسب الحلال وأكل الحلال ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين؛ فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا)-المؤمنون:٥١-، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) -البقرة:١٧٢-، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!» رواه مسلم.

حياة جديدة - شَمِّر للاستعداد

إعداد: طارق مصباح

الاستعداد لمواسم الخير والطاعات دليلٌ على حياة القلب، وتعلق الروح بالملأ الأعلى، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هي أول مفاتيح الخير؛ فإن الغافل عن الاستعداد للقاء ربهِ والتزود لمعاده بمنزلة النائم، بل أسوأ حالاً منه؛ فإن العاقل يعلم وعد الله ووعيده، وما تتقاضاه أوامر الرب تعالى ونواهيه وأحكامه من الحقوق، لكن يحجبهِ عن حقيقة الإدراك ويُقعده عن الاستدراك سِنَةُ القلب، وهي: غفلته التيَ رقد فيها فطال رقَوده، وركد وأخلد إلى نوازع الشهوات، فاشتد إخلاده وركوده، وانغمس في غمار الشهوات، واستولت عليه العادات، ومخالطة أهل البطالات، ورضي بالتشبُّه بأهل إضاعة الأوقات، فهو في رقاده مع النائمين، وفي سَكْرته مع المخمورين، فمتى انكشف عن قلبه سِنَة هذه الغفلة بزجرة من زواجر الحق في قلبه، استجاب فيها لواعظ الله في قلب عبده المؤمن.

سجدات.. طريق الرفعة

في كلِّ سجدة تسجدها مطمئنًا مؤمنًا ترتفع درجة، وأقرب ما يكون القلب من الرب إذا سجد، وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «أخبرني عن عمل يدخلني الجنة.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»، وفي رواية: «مَن سجد لله سجدةً، كتب الله له بها حسنة، وحطَّ بها عنه خطيئةً، ورفَع له بها درجة».

فالمعنى: أعنّي على نفسك بكثرة الصلاة، بكثرة التعبد غير الفريضة كصلاة الضحى والتهجد بالليل وما بعد الفرائض من الرواتب وما قبلها، فالمؤمن يكثر من التنفل فذلك من أسباب دخول الجنة ومن أسباب مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ومن أسباب شفاعته عليه الصلاة والسلام.